موقف الشعر من ثرائه وعيوبه

بقلم
دكتور عبد الرؤوف محمد عثمان

يتميز الشعر العربي وبخاصة الجاهلي منه بخصائص ثلاث[1] :

سجل حافل لعصره ـ الواقعية والوضوح ـ التصوير .

أولا : الشعر سجل حافل :

الشعر مرآة تنعكس فيها كل مظاهر الحياة العربية فهو يمثل البيئة خير تمثيل . ولذا نجد فيه صورة صادقة للعصر الذي يمثله في الحرب والسلم ، في عادات أهله وطبائعهم ، في وصف خير العصر وما فيه من نعمة وبركة ، وما فيه من بؤس وشقاء . واقرأ أية قطعة أو قصيدة من الشعر في العصور الأولى فإنك واجد فيها ريح البادية وطعم الصحراء ، فلقد وصف لنا هذا الشعر كل جوانب البادية فصور لنا ما فيها من جبال ومهاد وطرق ممتدة ومرابع خضرة ونبات زاه ، ووصف الآثار والدمن ، كما وصف السحب والأمطار والسيول ومدافع المياه رسم مشاهد كثيرة لحياة البيئة الفطرية ، ورسم مشاهد كثيرة لحيوانها وقص لكل حيوان قصة ، وصور حال هذه الحيوانات في طردها وقتالها ، في أمنها وخوفها ، صـــورها قطعانا مجتمعة وأفرادا عازبة ، واستعار منها تشبيهاته وصوره تحدث عن المنازل والديار ، كما تحدث عن إرتحال أهلها ، ووصف قوافلهم وهوادج نسائهم ، وتابعها في سيرها فرسم مخططا لرحلتها مبينا المواضع التي تنزل فيها والأماكن التي تمر بها ، ولم يأس أن يصف ما خلف الظاعنون من الحجارة والنؤدي والآثافي والثمام .

ثانيا : الواقعية والوضوح :

يمتاز الشعر العربي بالبعد في عصوره الأولى عن المبالغة والتعقيد فمعاني

---

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه الدكتور يحيى الجبوري / مؤسسة الرسالة .

الشعر واضحة بسيطة تلائم الفطرة وتنسجم وطبيعة بيئته ، ولاشك أن البساطة والوضوح أثران من آثار البيئة وصفاء الذهن واعتدال المزاج ، وهما يدلان على عقلية هادئة مستقرة لا اضطراب فيها ولا قلق ، فلا غموض ولا تفلسف . ولا أريد هنا بالبساطة السذاجة والبدائية ـ كما قد يظن ـ فالشعر فى هذه العصور من حيث معانيه وأخيلته ولغته يدل على رقى عقلى وصفاء ذهنى وعناية فنية ومهارة فى صناعة الشعر وصياغة معانيه وصوره ، والبساطة لا تناقض إجالة النظر وصقل الفكرة وشحذ الذهن وغير ذلك من الوسائل التى يجود بها الشعر ومن مظاهر هذه البساطة الصدق فى التعبير ، وفى نقل الصور والمشاهد نقلا يكاد يكون أمينا .

ويتمثل الصدق فى انفعالات الشعراء وعواطفهم وفى تسجيل الوقائع والذكريات ، وتصوير النصر بصورته الحقيقية من غير غلو ولا مبالغة ، والاقرار بالهزيمة والغكوص إن دارت الدائرة على قومهم ، وحتى الشعراء الذين سكنوا المدن كعدى بن زيد وشعراء مكة والمدينة والطائف لم يخرجوا عن هذا النهج .

ثالثا التصوير :

يكثر التصوير فى هذا الشعر كثرة واضحة وبخاصة فى الوصف حيث يرسم الشاعر مناظر ومشاهد رائعة مكتملة الجوانب فهو يلم بالصورة ألماما تاما ثم يدقق فى أجزائها ، ويحصر أطرافها ، ويستقصى جوانبها وهذا ـ لاشك ـ دليل التمكن فى الفن والدقة فى التعبير وخصب الخيال ، فالشاعر يرسم لك لوحة كاملة يعنى بكل تفاصيلها وأجزائها على الرغم من إيجازها ولعلك تذكر معلقة لبيد ووصفه الديار المقفرة ، فهو يصف الرسوم الدارسة ويحدد مواقعها ، ويشبه آثارها ويذكر قومها ومامر عليها من أشهر طويلة وكيف سقطت فيها الأمطار ونبتت الأعشاب وعلا نبات الأيهقان ، وولدت فيها

الظباء والنعاج ، وفرخت النعام ، وراحت صغارها تمرح وترتع على مرأى من أمهاتها على شاكلة قوله :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحى سلامها

الخ المعلقة .

هذا الشعر العربى الرصين قديمه وكذا حديثه محاط بسياجين لاغنى له عنهما الأول الوزن والثانى القافية ، وقديما كانوا يعرفون الشعر بأنه : الكلام الموزون المقفى ، ثم أصبح هذا التعريف خاصا بالنظم للفرق بينه وبين الشعر الذى ينبع عن عاطفه وتجربة ، ومن أجل التحرر من هذين القيدين الذهبيين فى الشعر العربى المعروف بالعمودى خرج بعض الشاعرين أو المتشاعرين عن هذين القيدين ليفتشوا مايعرف بالشعر الحر أو شعر التفعلية وكذا الشعر المنثور أو قصيدة النثر كل ذلك هروبا من الوزن والقافية ، فذهبوا بذلك مذهبا أضاع على الشعر العربى موسيقاه ورواءه ورونقه :

وإليك نموذجا من هذا الشعر غير العمودى فى قضية شغلت أذهان العرب بل العالم أجمع ألا وهى الانتفاضة ، فأضاع هذا النوع من الشعر حماس وقوة وقوة وفاعلية هذه الانتفاضة المباركة فضلا عما فيه من أخطاء لغوية وتكرار معيب . كما فى (ينتظروا) حيث حذف نون الفعل دون ناصب أو جازم وكما فى تكرار لفظ (تخضب) مع الفصل بينهما ببيت واحد ، وقد اشترط القدامى أن يكون الفصل بسبع أبيات على الأقل .

الانتفاضة (١)

قوموا انهضوا ... هذا رضيع بين أحضان ... نحن الذين استخرجوا
فالليل .... قد تمزق ... وذا يرمى الحجارة ... من أرضهم
وأشرقت ... شمس ... وآخرون ... تجمعوا ... قبسا مع تلك الحجارة
وكف ... قد تخضب ... كالطرد ... لتكون ندا للقنابل
والنعش ... يتلو النعش ... ينتظروا ... الرصاصة ... ثم رمز الانتفاضة .
بل صدر تخضب ... ورصاصنا ... من أرضنا
لا ليس صنعا
أو تجارة

دعنا إذاً نرجع إلى الشعر الأول بعد أن رأينا هلهلة وركاكة هذا الشعر المستحدث فنقول هذا الشعر العربي الأول والمسمى بالعمودي بما له من خصائص ومميزات جعله الأقدمون على أربعة أنواع .

١ - نوع خال من العيب والضرورة وهو أحسن الشعر وأرقه ،
٢ - نوع فيه ضرورة مقبولة يجوز للشاعر إرتكابها دون مؤاخذة .
٣ - نوع فيه ضرورة قبيحة وهذا شعر مبتذل .
٤ - نوع فيه عيب مخالف لما جاء في علم القافية(٢) .

والنوع الأول لا يعنينا ، أما الذي يعنينا هنا فهو الضرورات مقبولة وغير مقبولة من أجل الوزن العروضي، ثم عيوب القافية بأنواعها وإليكموها:

---

(١) شعر أحمد محمد جمعان الزهراني نشرت في ملحق المدينة للثورة الأدبي في ٢٢ من شعبان سنة ١٤٠٩ هـ .
(٣) ميزان الذهب للأستاذ السيد أحمد الهاشمي .

أولا : الضرورات[1] :

١ ـ صرف مالا ينصرف كقول الشاعر :

فى أرض أندلسى تلتذ نعماء ولا يفارق فيهـــا القلب سراء

فصرف كلمة أندلسى .

وصرف الممنوع من الصرف مقبول عنـــدهم أما منع المنصرف من الصرف فهو غير مقبول كقول مقرى الوحش فى زهريته :

الروض جامع والأزاهر بسطه وقنادل الاترنج لاحت فى الغد

فمنع جامع من الصرف .

٢ ـ قصر الممدود ومد المقصور كقول أبى تمام فى محمد بن خالد :

ورث النوى وحوى النهى وبنى العلا

وجـــلا الدجى ورمى الفضا بهداء

فقد قصر (الفضاء) ومد (الهدى) .

٣ ـ إبدل همزة القطع وصلا كقول الشاعر وقد وصل همزة (أم) .

ومن يصنع المعروف من غير أهله

يلاقى الذى لاقى مجـــير أم عامر

وعكس ماسبق (قطع همزة الوصل) كقول أبى العتاهية وقد قطع همزة الأمر من (بنى) فقال (إبن) وهمزة ابن همزة وصل كما هو معروف .

أيها البانى لهـــدم الليالى إبن ماشئت ستلقى خرابا

٤ ـ تخفيف المشدد وقد كثر وقوعه فى القوافى المقيدة المختومة بحرف صحيح ساكن ولا يسوغ فى غيره كقول محمد بن البشير وقد خفف شدة (تحف).

لى بستان أنيـــق زاهر غدق تربته ليست تجف

---

(١) تجمع الضرورة جمع تكسير على ضرائر وقد اخترنا هذا الجمع فى عنوان البحث ليتفق مع العيوب الذى هو جمع تكسير أيضا .

وكقول طرفة بن العبد :

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعر(١)

وتخفيف الهمزة كقول أمية بن أبى الصلت وقد خفف همزه (البارىء).

هو الله بارى الخلق ، والخلق كلهم أماء له طوعا جميعا وأعبد

وعكس ماسبق من تثقيل المخفف كقول الشاعر وقد شدد الميم فى (دم).

أهان دمك فرغا بعد عزته يا عمرو نعيك أصرارا على الحسد

تسكين المتحرك ، وتحريك الساكن كقول أبى العلاء المعرى وقد أسكن الجيم فى (رجل) من الشطر الثانى .

(أ) وقد يقال عثار الرجل أن عثرت

ولا يقال عثار الرجل أن عثرا

وهذا كثير فى ضمير الغائب والغائبة كقول الشاعر وقد أسكن الهاء فى (هو)

فالدر وهو أجل شىء يقتنى ماحط قيمته هوان الغائص

وكتنوين العلم المنادى كقول الشاعر وقد نون مطر فى الشطر الأول فقال.

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يامطر السلام(٢)

وقد تزداد حركة على الحرف اتباعا لما قبلها كقول زهير بن أبى سلمى :

ثم استمروا وقالوا أن موعدكم ماء بشرقى سلمى فيد أوركك

وإنما هورك فحرك الكاف بحركة الراء .

(ب) وقد يحرك الحرف الساكن كما فى تحريك الهاء من الزهر فى قول الشاعر :

تبقى صنائعهم فى الأرض بعدهم والغيث أن سارا أبق بعده الزهرا

وكقول ابن الجوزى وقد حرك لام (حلم) فى قوله :

تبا لطالب دنيا لابقاء لها كأنما هى فى تصريفها حلم

---

(١) نسب خطأ لامرىء القيس أنظر ديوان طرفه ص ٤٥ .

(٢) هذا باعتبار أن التنوين نون ساكنة لحقت الراء المتحركة بالضم فى مطر .

يجوز تحريك ميم الجمع كقول أبي أذينه وقد حرك الميم في (هم، وبجدهم).

هم أهلة غسان وبجدهم عال فإن حاولوا ملكا فلا عجبا

ويجوز كذلك كسر آخر الكلمة إن كان ساكنا كقول عنترة وقد كسر ميم فعل الأمر من أقدم :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

٦ - اشباع الحركة حتى يتولد منها حرف مد كقول امرىء القيس وقد أشبع الكسرة فتولدت ياء في (انجلي) .

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل

وكقول الخوارزمي وقد أشبع فتحة أقام بالألف :

فما أنت إلا البدر أن قل ضوؤه أغب وإن زاد الضياء أقاما

ويكثر الإشباع في الضمائر كقول الشاعر وقد أشبع الكاف في (أخاك) فصيرها (أخاكا) وفي له فصيرها (لهو) .

أخاكا أخاكا أن من لا أخا لهو كساع إلى الهيجا بغير سلاح

٧ - تغيير الإعراب عن وجهه[1] . فمن ذلك قول الشاعر[2] :

سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فأستريحا

والوجه في هذا الرفع لأن الفاء لا تنصب إلا بعد نفي أو طلب وهي فاء السببية ومن ذلك قول الراجز :

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوان والشجاع الشجعما[3]

وكان الوجه الأفعوان والشجاع الشجعم (بالرفع في الجميع) غير أن

---

(١) النكت في تفسير كتاب سيبويه لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتري .

(٢) هو المغيرة بن حبناء التميمي .

(٣) ينسب إلى مساور العبسي أو العجاج أو الهبيري أو عبد بني عبس .

قوله : قد سالم الحيات منه القدم يوجب أيضا أن القدم قد سالمت الحيات لأن المسالمة من اثنين فلما ذكر مسالمة الحياة القدم دل على أن القدم قد سالمت الحيات أيضاً ، فكأنه قال : وسالمت القدم الشجاع فحذف .

ومن ذلك أيضاً قول عبد العزيز الكلابي :

وجدنا الصالحين لهم جزاء وجنات وعينا سلسبيلا(١)

فنصب جنات وما بعدها وكان الوجه الرفع عطفا على جزاء غير أنه لما قال وجدنا الصالحين لهم جزاء دل على أنه قد وجد الجزاء لهم فأضمر وجدنا ونصب به جنات وما بعدها .

٨ ـ تأنيث المذكر وتذكير المؤنث كقول عمر بن أبي ربيعة(٢) :

فكان مجنى دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فحذف الهاء من ثلاثة مع أن واحد الشخوص مذكر ولكنه ذهب به مذهب النسوة لأنهن كن ثلاث نسوة .

وقال الشاعر فى تذكير ماينبغى تأنيثه :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها(٣)

أراد ولا أرض أبقلت ولكنه تأول بالأرض المكان فذكر لذلك(٤) .

(هيمنة ظاهرتى الحذف والزيادة كضرورات شعرية)

أعلم وفقك الله أن الشاعر يحذف مالا يجوز حذفه فى الكلام لتقويم الشعر كما يزيد لتقويمه كذلك :

(ا) فمن الحذف تخفيف المشدد وتسكينه مع حذف حرف بعده كقولك فى معلى : معل ، وفى معنى : معن قال الأعشى ميمون بن قيس :

---

(١) ذكر فى المقتضب ٣/٢٨٤ بلا عزو . (٢) ديوانه ص ٦٦ .
(٣) هو عامر بن جوين الطائى . (٤) ينظر النكت .

لعمرك ماطول هذا الزمن على المرء إلا عناء معن

ومن الحذف ترخيما القوافى[1] كقول ابن الأحمر .

أبو حنش يؤرقنا وطلق وعباد وآونة أثالا

ذكر سيبويه أن أثال معطوف على قوله (أبو حنش وطلق) فحذف الهاء وبقى اللام على فتحها والأصل أثالة ، ومن ترخيم القوافى قول العجاج :

قواطنا مكة من ورق الحما[2]

يريد الحمام فرخمها :

ومن الحذف حذف النون الساكنة من نون من ، وعن ، ولكن لالتقاء الساكنين كقول النجاشى :

فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقنى إن كان ماؤك ذا فضل[3]

ومن الحذف حذف الياء من المعتل فى حال الإضافة كقول خفاف بن بدبة:

كنواح ريش حمامة نجدية

(ب) أما الزيادة فإنهم يزيدون فى آخر الاسم نونا مشددة كقولهم فى القطن قطنن وهذا من أقبح الضرورات كقول المراجز (وهو قارب بن سالم المرى ويقال دهلب بن قريع) :

كأن بجرى دمعها قطنه من أجود القطنن

ويروى القطن (بتشديد النون) .

ومن الزيادة إظهار المدغم كقولك فى راد : رادد لأنه فاعل وكما قال قعنب ابن أم صاحب :

---

(١) غير هذا الترخيم هناك ترخيمن وهما ترخيم النداء ، وترخيم التصغير فالترخيم إذا ثلاثة أنواع .

(٢) واحدة القواطن قاطنه وهى الساكنة ، وواحدة الورق وورقاء وهى التى لونها لون الرماد تضرب إلى الخضرة : (٣) الكتاب ١/٩ .

مهلا أعازل قد جربت من خلقى أنى أجود لاقوام وأن ضننوا

والمستعمل ضننوا (بإدغام النونين) .

ومن الزيادة تحريك المعتل كقول ابن قيس الرقيات :

لا بارك الله فى الغوانى هل يصبحن إلا لهن مطلب

فحرك الياء فى الغوانى .

ومن الزيادة قطع ألف الوصل وأكثر ما يكون فى النصف الثانى من البيت كقول أنس بن عباس السلمى :

لانسب اليوم ولاخلة إتسع الخرق على الراقع

ومن الزيادة زيادتهم الألف فى (أنا) إذاوقفوا عليه فإذا وصلوا حذفوا الألف فإذا اضطر الشاعر أثبتها فى الوصل كما قال حميد بن حريث بن بحدل :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى حميد قد تذريت السناما

ثانيا العيوب :

إذا كانت الضرورات تتمثل فى الوزن العروضى غالبا فإن العيوب تتمثل فى القافية وهى الشق الثانى مما أبدعه الخليل للارتقاء بالشعر العربى وتذوقه وهذه العيوب على أربعة أشكال :

١ - مايتعلق بالروى .

٢ - مايتعلق بما قبل الروى .

٣ - مايتعلق بالعروض والضرب .

٤ - مايتعلق ببحر بعينه .

(أ) مايتعلق بالروى وهو ستة : الاقواء والأصراف ، الأكفاء ، الايطاء ، التضمين والإجازة .

١ ـ فالأقواء[1] اختلاف حركة الروى فى قصيدة واحدة وهو أن يجىء ببيت مرفوعا وآخر مجرورا كقول النابغة :

أمن آل مية رائح ، أو مغتدى عجلان ، ذا زاد ، وغير مزود

ثم قال :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود

٢ ـ فإذا كان مع المرفوع أو المجرور منصوب سمى أصرافا كقوله :

أطعمت جابان حتى اشتد مغرضه وكاد ينقد لولا أنه طافا
فقل لجابان يتركنا لطيته نوم الضحى بعد نوم الليل أصراف[2]

والخليل لا يجيز هذا ولا أصحابه .

٣ ـ والاكفاء[3] اختلاف حرف الروى فى قصيدة واحدة وأكثر ما يقع ذلك فى الحروف المتقاربة المخارج مثل قوله[4] .

قبحت من سالفة ومن صدغ
كأنها كشية ضب فى صقع[5]

وكقوله :

بنى أن البر شىء هين
المنطق اللين والطعيم

---

(١) الأقواء من قولك قتل القاتل الحبل فأقواه إذ أثبت قوة من قواه .

(٢) جابان : اسم رجل . والمغرض : أسفل البطن . وطاف : برز لقضاء حاجته .

(٣) أصل الاكفاء من كفأت الإناء وغيره إذا قلبته ، ويقال أكفأت الشىء إذا أملته .

(٤) انظر فى هذا الصدد : الوافى فى العروض والقوافى صنعة الخطيب التبريزى .

(٥) السالفة . خصلة الشعر المرسلة على الخد ، الصدغ ما بين لحاظ العين وأصل الأذن والكشية : شحمة فى باطن صلب الضب وقيل هى أصل ذنب الضب ، والصقع الناحية .

٤ ـ الإيطاء أن تتكرر القافية فى قصيدة واحدة بمعنى واحد كالرجل والرجل فإن كانا لمعنيين لم يكن إيطاء نحو رجل نكرة والرجل معرفة وذهب بمعنى الفعل وذهب بمعنى الجوهر .

وأصل الإيطاء أن يطأ الإنسان فى طريقه على أثر وطء فيعيد الوضع على ذلك الموضع فكذلك إعادة القافية ، واختلفوا فى كيفية تكريره .

فذهب الخليل إلى أن كل كلمة وقعت موقع القافية وأعيد لفظها فى قافية بيت آخر وكانت العوامل تقع عليهما . اتفق معناهما أو اختلف فهو إيطاء نحو (ثغر) تريد الفم (وثغر) تريد مايلى دار الحرب ونحو كاب تريد القبيلة و(كاب) تريد النابح وما أشبه ذلك ومثله :

قامت تهادى طفلة جللت ... هودجها بالرقم والعقل(١)
تفتن بالالحاظ أهل النهى ... وتستبى بالغنج ذا العقل(٢)
قلت لها جودى لذى صبوة ... أصبح للشقوة فى عقل(٣)
أضحى وحبيبك له لازم ... مطالب بالنقد أوعقل(٤)
قالت بإعراض عدمت الهدى ... هل لقتيل الحب من عقل(٥)

فإذا كان الاسم ينصرف إلى فعل نحو (ذهب) تريد التبر مع (ذهب) تريد الذهاب . فلا يجعله الخليل إيطاء ، لأن العوامل لاتقع عليهما .

وروى عنه الأخفش سعيد بن مسعده أنه يجرى (الرجل) إذا كان علما و(الرجل) إذا كان الرجولية مجرى ذهب من التبر وذهب من الذهاب . فلا يجعله إيطاء وهذا هو الصحيح .

---

(١) الرقم : ضرب من الخز مخطط ، والعقل : وشى .
(٢) الغنج : التدلل والتكسر .
(٣) عقل هنا بمعنى عقال .
(٤) الحبس .
(٥) دية .

وأما غير الخليل كمؤرج ، والنضر بن شميل ، والجرمى فإنهم يقولون إذا اختلف المعنى واتفق اللفظ فليس بإبطاء وإن وقعت عليهما العوامل . ومن الإبطاء قوله :

أو أضع البيت فى خرساء مظلمة تقيد العير لا يسرى بها الساري
لا يخفى الرز[1] عن أرض ألم بها ولا يضل على مصباحه الساري

مما ليس بإبطاء جمع المعرفة مع النكرة نحو قوله :

يارب سلم سدودهن[2] الليلة وليلة أخرى وكل ليلة

وإذا كثر الإبطاء كان أقبح وإذا تباعد كان أحسن .

٥ ـ التضمين :

وهو أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثانى كقول النابغة :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ انى
شهدت لهم موارد صادقات شهدن لهم بصدق الود منى[3]

وإنما سمى بذلك لأنك ضمنت البيت الثانى معنى البيت الأول فلا يتم إلا بالثانى .

٦ ـ الإجازة :

اختلاف حرف الروى فى قصيدة واحدة بحروف تتباعد مخارجها كقوله:

إن بنى الأبرد أخوال أبى
وإن عندى إن ركبت مسحلى
سم ذراريح ، رطاب وخشى[4]

(١) البيت فى وصف جيش والرز : الصوت ، مصباحه : نيرانه .
(٢) السد : ضرب من السير .
(٣) الجفار : ماء لبنى تميم بنجد ، يوم عكاظ : من أيام الفجار .
(٤) المسحل : العزم الصارم وقيل هو اللسان والذراريح جمع ذروح وهو دويبه والخش : اليابس .

وخشى أصله خشي مشدد الياء خففها للضرورة .

فجمع فى الروى بين الياء واللام والشين .

(ب) مايتعلق بما قبل الروى وهو السناد بأضربه الخمسة وهى :

١ ـ سناد التأسيس : وهو أن يجىء بيت مؤسسا وبيت غير مؤسس كقول العجاج :

يادار اسلمى ، يا اسلمى ، ثم اسلمى . بسمسم ، وعن يمين سمسم(١)

ثم قال : فخندق هامة هذا العالم .

ويحكى أن رؤبه كان يقول : لغة أبي همز (العالم) فلا يكون على هذا سنادا .

٢ ـ سناد الحذو : وهو الحركة التى تكون قبل الردف فإن كانت ضمة مع كسرة لم يكن عيبا كقول عمرو بن كلثوم :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

ثم قال :

ذراعى عيطل أدماء بكر تربعت الأجارع والمتونا

وإذا جاءت الفتحة مع الضمة أو الكسرة فذاك سناد نحو قوله فى هذه القصيدة : تصفقها الرياح إذا جرينا

٣ ـ سناد التوجيه وهو أن يكون قبل حرف الروى المقيد فتحة مع ضمة أو كسرة فإن كانت الضمة مع الكسرة لم يكن سنادا وإن جاءت الفتحة مع إحداهما فهو سناد عند الخليل ، وكان سعيد بن مسعده لا يراه سنادا لكثرته فى أشعار العرب ، وذلك مثل قول امرىء القيس :

لا وأبيك ، ابنة العامرى لا يدعى القوم أنى أفـــر

---

(١) سمسم : اسم موضع .

مع قوله :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر[1]

٤ ـ سناد الإشباع وهو تغيير حركة الدخيل. فالضمة مع الكسرة غير معيب والفتحة مع واحدة منهما معيب مثل قوله والجراول مع أن تطاولى فى قوله :

يانخل ذات السدر والجراول[2]

تطاولى ماشئت أن تطاولى[3]

٥ ـ سناد الردف وهو أن يجىء بيت مردفا وبيت غير مردف كقوله :

إذا كنت فى حاجة رسلا فأرسل حكيما ولا توصه

وإن ناب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

وكقوله :

ندمت ندامة لو أن نفسى تطاوعنى إذا لتبكت نفسى

تبين لى سفاه الرأى منى لعمرالله ، حين كسرت قوسى[4]

والسناد من قولهم خرج بنو فلان متساندين أى خرجو على رايات شتى فهم مختلفون غير متفقين فكذلك القصيدة اختلفت بالسناد ولم تأتلف بحسب جارى العادة فى انتظام القوافى واستمرارها .

---

(١) استلأموا : أى لبسوا اللامة وهى السلاح ، والقر : البارد .

(٢) ذات السدر : ضرب من الشجر والمراد الأرض ذات السدر .

(٣) الجراول : جمع جرول وهو الحجارة العظام يريد بطن نخل بطريق مكة .

(٤) البيتان : للكسعى الذى يضرب بندامته المثل وبتلك بمبنى قطع انظر مجمع الأمثال ٢ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

وقد ذكروا فى جملة عيوب الشعر: النصب والبأو:

فأما النصب عندهم فهو اسم لكل ماسلم من السناد فى الشعر التام البناء دون المجزوء والمشطور والمنهوك.

وهذا فى الحقيقة ليس بعيب لأن السالم من العيب لا يقال له معيب.

قال أبو الفتح إنما سميت كل قافية سليمة من الفساد تامة البناء نصبا من قبيل أن ما كانت صورته فى التمام والاستقامة والوفور كذلك فله الانتصاب والسمو وذلك ضد الطمأنينة والخشوع.

والبأو: عندهم اسم لتجنب المستحسن من السناد دو المستقبح والمستقبح وقوع الفتح مع الضم أو مع الكسر، والمستحسن وقوع الضم مع الكسر وهذا أيضا ليس بعيب لأن تجنب العيب لا يكون عيبا.

(ج) مايتعلق بالعروض والضرب: وهو الرمل والتحريد.

أما الرمل فهو كل شعر مهزول ليس بمؤلف البناء وهم لا يحدون فى ذلك شيئا وهو كقول عبيد الأبرصى:

أقفر من أهـــله ملحوب فالقطبيات فالذنوب(١)

لأن العروض مجزوءة ووزنها مستفعلن والضرب مقطوع وزنه مفعولن والبيت مصرع وهو من البسيط وأجزاؤه.

مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن مفعولن

وأما التحريد فهو اسم لاختلاف الضروب فى الشعر وذلك يتبين فى العروض نحو فعلن فى ضرب المديد إذا وقع معها فعلن بسكون العين (العروض محذوفة والضرب مثلها).

وكذلك فعلن فى تام البسيط إذا استعمل معها فعلن بسكون العين (العروض تامة مخبونة والضرب مخبون مثلها).

(١) مطلع قصيدة مشهورة له، وملحوب والقطبيات والذنوب أسماء مواضع.

والتحريد من البعير الأحرد وهو الذى تتقبض إحدى يديه فى السير فلما جاء الشعر مخالفا وبعد عن النظائر سمى ذلك العيب فيه تحريد(١) .

(د) مايتعلق ببحر بعينه :

ومن عيوب الشعر مايسمى المقعد(٢) وهو يختص بالكامل وهو خروج الشاعر من العروض الأولى من الكامل إلى العروض الثانية منه ، وإنتقاله من العروض الثانية إلى الأولى مثل ما أنشد ابن برهان النحوى :

أنا وهذا الحى من يمن عند الهياج أعزة أكفاء
قوم ، لهم فينا دماء جمة ولنا لديهم إحنة ودماء
وربيعة الأذناب فيما بيننا ليسوا لنا سلما ولا أعداء
مترددون مذبذبون فتارة متنزون(٣) وتارة حلفاء
أن ينصرونا لانعز بنصرهم أو يخذلونا فالسماء سماء

فالبيت الأول من العروض الثانية من الكامل (حذاء على وزن فعلن) وبقية الأبيات من العروض الأولى منه (متفاعلن) ومثله فى شعر العرب كثير .

ومن المقعد أن ينقص حرف من الفاصلة يعنى من العروض نحو قوله :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الإطهار(٤)

بعد هذا العرض لضرورات الشعر وعيوبه لاعذر لهؤلاء الذين يهجرون الشعر العمودى بحجة صعوبة الوزن والقافية ، فقد أبحنا لهم شعر الضرورة

---

(١) القدامى يعدون الرمل والتحريد من العيوب التى لها صلة بالقافية ولكن الأولى أن يكونا من الضرورات لتعلقهما بالوزن العروضى .

(٢) كذلك ينظرون إليه القدامى نفس النظرة التى سبقت فى الرمل والتحريد .

(٣) أى منتسبون إلى نزار .

(٤) عواقب الأطهار أى مراجعة البعولة إلى المضاجعة : مضاجعة النساء بعد أطهارهن .

تحت مبدأين مشهورين : الضرورات تبيح المحظورات ، والضرورة تقدر بقدرها ، وتسامحنا كذلك فى تجاوز حدود القافية فى نطاق محدود ، وذلك حتى لا يفروا من الشعر الأصيل الرصين شعر امرىء القيس والمتنبي وشوقى أمراء الشعر فى عصورهم . ألا فانهجوا نهج هؤلاء أيها الشعراء حتى تصلوا إلى ماوصلوا إليه من عز ومجد وسؤدد ولن تبلغوا ذلك إلا إذا جعلتم الوزن والقافية نصب أعينكم ليكونا منظارا لاستكمال أسمى عاطفة وأجل خيال وأرقى تصوير فى الشعر العربي .

د / عبد الرؤف محمد عثمان

ثبت باهم المراجع والمصادر

١ ـ الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه : الدكتور يحيى الجبورى .

٢ ـ ميزان الذهب : للأستاذ السيد أحمد الهاشمى .

٣ ـ النكت فى تفسير كتاب سيبويه : للأعلم الشنتمرى .

٤ ـ الكتاب لسيبويه .

٥ ـ الوافى فى العروض والقوافى صنعة الخطيب التبريزى .

٦ ـ مجمع الأمثال للميدانى الجزء الثانى .

٧ ـ المقتضب الجزء الثالث .

دواوين :

ديوان طرفة بن العبد .

ديوان عمر بن أبى ربيعة .

دوريات : ملحق المدينة المنورة الأدبى .